

أنت مثلي مقصر معهم؟

عُرف هاشم جد المصطفى وكذلك الصفوة من بنيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالسخاء "ابتداءً" وبالكرم "عطاءً" وأبرزهم بلا شك ولا ريب هم محمد وأهل بيت العصمة إلى المهدي المنتظر عجل الله فرجه وصدق الفرزدق في ميمته الشهيرة حين قال في مدح الإمام زين العابدين عليه السلام وهو وصف ينطبق عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعم

نعم، عطاؤهم تميز لأنه لا يدرك أمده ولا يقدر قدره فمن يقدر على نسمة نفس من نسمات رسول الله صلى الله عليه وآله ومن يقدر على ضربة علي عليه السلام عليه السلام يوم الخندق ومن يقدر على امتحان الزمن كالزهراء عليها السلام ومن يقدر على تضحية الحسن عليه السلام بكرامته حين عقد الهدنة ومن يقدر على الوفاء بلمحة من الحسين في أرض الطفوف وهذا كله عطاء لهدايتنا وهداية الأمم فضلاً عن أن الله تبارك وتعالى عزى كل ما خلق لأجلهم "إني ما خلقت". هب أننا لا نقدر على رد جميلهم كما يستحقونه ولكن هذا لا يعني أن يؤدي ذلك إلى إفراط أو تفريط. ترك العطاء لهم بجميع أوجهه بدعوى لا حاجة لهم لذلك "إِنَّ نَسَمًا نَطَعِمُكُمْ لِيُوجِّهَ اللَّاهِلَ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)" (سورة الإنسان) وعدم قدرتنا عليه .. تفريط. وتكليف النفس فوق طاقتها بما يضر المٌعطي أو المٌعالين للباذل .. إفراط قد لا يكون مفروضاً شرعاً بمفاد الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث رفض أن يتصدق أحد أصحابه بجميع ماله لكيلا يبقى عالية على الآخرين هذا مع المُسرر فما بالك بالمعسر. "استطراداً" أقول بلسان موسوعة غينيس" على الرغم من أن المعسر لا عتب عليه إلا أن هناك صور من العطاء تذهل العقول تحفر الصخر من أبرزها العباس الذي بذل حشاشته الطامئة مواساة لأخيه وإمامه الحسين عليه السلام وكذا أنصار الحسين وأمّهات أبطال الطفوف خصوصاً أم البنين عليه السلام.. إلى الحالات الحاضرة التي شهدها العالم مما يقدمه عشاق الحسين عليه السلام في طريق العروج الأسمى "أربعين الحسين عليه السلام" خصوصاً أولئك الفقراء المدفعين الذين لا يجدون قوت يومهم إلا أنهم يجمعون ديناراً على دينار ليتجملوا أيام الأربعين مع الحسين عليه السلام وفاء لعطائه الإعجازي على مر هذه السنين.

على كل حال، النبي وآله الطاهرون صلوات الله وسلامه عليهم هم أبواب الله تبارك وتعالى الذين جعلهم خلفاء ليهدوا الكون كل الكون بكل السبل من الذرة إلى المجرة، ولكن لو قمنا بحالة مقارنة بين ما يقدموه لنا وما نقدمه لهم لوجدنا بعضنا بخلاء أشد البخل ومقصرون في رد الجميل بأشد ما يكون التقصير. وأبرز ما يتجلى به ذلك هو الخمس الذي أصبح نقطة ذم على أتباع أهل البيت عليهم السلام

والحال أن نسبة ضئيلة منهم يلتزمون بهذا "الواجب الشرعي" فما بالك بغيره. حالي عند وجود ضرر أو حالة ملحة وطرفي بابهم وقتها وحالي بعد قضاء الحاجة يصح انطباق الآية الكريمة عليه " فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِ لَكَ دَعَاؤُا اللَّهَِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الدِّيرِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (65) " (سورة العنكبوت) ولعل من صور الشرك هو الشرك "الخفي" وقد نستطيع أن نضيف إليه عدم دوام الحمد والشكر أي النسيان ولعله الجحود بصورة أو أخرى. الوضع خطير لأن الآية تقول بعد ذلك "لِيَذْكُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَذَّكَّرُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (66) " (سورة العنكبوت) لست أدري لعل هذه الحالة على شفا حفرة من ذلك الوعيد إن كانت عن تعمد وما إلى ذلك أجارنا المولى وإياكم وجعلنا في درعه الحصينة.

تعليم الأبناء الدين.. عطاء لآل محمد عليهم السلام

البعض حتى على أولاده يبخل أن يصرف عليهم لكي يصبحوا مرضاة لآل محمد عليهم السلام من خلال تسجيلهم في الدروس الدينية أو الدورات وما إلى ذلك في مقابل ما يغدقه لاكتسابهم العلم والمهارة في العلوم الدنيوية لضمان مستقبلهم الدنيوي ناسياً مستقبلهم الأخروي الذي هو الأهم فالعلم يحتاج للخلق الكريم الذي نعتة به محمد صلى الله عليه وآله " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4) " (سورة الفلم) وإلا كان دماراً ووبالاً وأداة للمكر والخديعة والإبتزاز وما إلى ذلك.

اصبر .. الفلوس تروح وتجي

في الواقع ما يريدونه عليهم السلام من عطاء منذاً هو يعود علينا " أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم" (1) .. ما يريدونه هو حركة على طريق الوصول إلى الله ولا يكون ذلك إلا من خلال بذلنا وعطائنا بكل الصور والصبر على ذلك " وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّكَ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) " (سورة البقرة). الصبر على بذل المال والجهد في خدمتهم وبحمد الله الجهود مبذولة ولكن العطاء المالي ضعيف. والعلاج هو كما فعل ذلك التاجر الذي كان يوقع على "الشيك" وهو واضحٌ يده على المبلغ الذي كتبه/طلبه أحد خدمة الحسين لخدمة أحد المواكب أو المجالس الحسينية. يضع يده لكي لا يوسوس له الشيطان ولا تأمره النفس الأمارة بالسوء بأن لا يتصدق بذلك المبلغ. وما النتيجة؟؟ وقع الحسين عليه السلام على صحيفة أعماله بالقبول وهو واضحٌ يده الشريفة على تفاصيلها تكريماً على ما نقل عن رآه في رؤية صادق .. وهذه والله التجارة التي لن تبور " إِنَّ الدِّينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَاجِلًا يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ " (سورة غافر) (30) " (سورة غافر).

خاتمة

العمل الخيري لا بد له من مال يدعمه ويدعمه كوادره فالهدية وقعها جميل وإن كانت بسيطة فـ"من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل" عن الرضا عليه السلام (3).

همسة

روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : " إذا أملكتم ، فتاجروا الله بالصدقة " (4) . . . فكيف بمن يوجد لديه خير ويحب أن يزيده.